

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ^ج فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ^ج

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ،

حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة القيظ ، فقال تعالى : (يا أيها الذين

آمَنُوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) أي : إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله

(اثاقلتم إلى الأرض) أي : تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار ،

(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) أي : ما لكم فعلتم هكذا ؟ أرضا منكم بالدنيا بدلا

من الآخرة . ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا ، ورغب في الآخرة ، فقال : (فما متاع

الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) كما قال الإمام أحمد . حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد

قالا حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد أخي بني فهر قال : قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل إصبعه هذه في

اليم ، فلينظر بم ترجع ؟ وأشار بالسبابة . انفرد بإخراجه مسلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا

بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي ، حدثنا الربيع بن روح ، حدثنا محمد بن خالد الوهبي ، حدثنا زياد - يعني الجصاص - عن أبي عثمان قال : قلت : يا أبا هريرة ، سمعت من إخواني بالبصرة أنك تقول : سمعت نبي الله يقول : إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة ، قال أبو هريرة : بل سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة ، ثم تلا هذه الآية : (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) فالدنيا ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل . وقال [سفيان] الثوري ، عن الأعمش في الآية : (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) قال : كزاد الراكب . وقال عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه : لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال : اثثوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه ، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال : أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار ، إن كان كثير لكليل ، وإن كان قليلك لقصير ، وإن كنا منك لفي غرور .